

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْأَكْوَانِ، الْمُنْعِمِ عَلَى خَلْقِهِ بِالْأَوْطَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الصَّمَدُ الرَّحِيمُ الْوَهَّابُ الرَّحْمَنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمُ الْخَلْقِ وَأَعْظَمُهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالْإِيمَانِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.
أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَخْلِصُوا النِّيَّاتِ لِلَّهِ، ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾^(١)، ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢).
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَ دَعْوَتَيْنِ لِخَلِيلِ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أُولَاهُمَا قَوْلُهُ: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ ﴾^(٣)، وَأُخْرَاهُمَا ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾^(٤)، فَانظُرُوا كَيْفَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ قُدُوةٌ لِلْخَلْقِ فِي حُبِّ الْأَوْطَانِ، وَحُبِّ الْوَطَنِ عِنْدَهُمْ لَيْسَ كَلَامًا يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ فَحَسَبُ، بَلْ تَجِدُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ فِي مُنَاجَاتِهِ لِلَّهِ وَدُعَائِهِ يَجْعَلُ لِوَطْنِهِ حَظًّا مِنْ ذَلِكَ الدُّعَاءِ الْمُجَابِّ، وَهَلْ هُنَاكَ شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنَ الدُّعَاءِ! وَنَجِدُ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ حَكَى عَنْهُ رَبُّهُ الدُّعَاءَ لِوَطْنِهِ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ إِزَادَةِ الْإِسْتِقْرَارِ فِيهِ قَبْلَ أَنْ تَنْقَرَى مَكَّةَ وَتَصِيرَ بَلَدًا مَعْمُورًا، وَالثَّانِيَةَ بَعْدَ أَنْ تَقَرَّتْ وَصَارَتْ بَلَدًا ذَا عُمَرَانٍ وَسُكَّانٍ، فَالدُّعْوَةُ الْأُولَى اسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ عَلَى الْإِعَانَةِ عَلَى الْبِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ، وَلَمْ يَبْقَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاكِنًا بَعْدَ دَعْوَتِهِ تِلْكَ لَا يُحْرِكُ شَيْئًا، بَلْ قَامَ إِلَى الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ وَرَفَعَ قَوَاعِدَهُ؛ لِيَفِدَ النَّاسَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ؛ فَقَدْ أَرَادَ

(١) سورة البقرة/ ٢٢٣.
(٢) سورة المزمل/ ٢٠.
(٣) سورة البقرة/ ١٢٦.
(٤) سورة إبراهيم/ ٣٥.



بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْبَلَدُ الَّذِي يَعْمُرُهُ بَلَدًا عَالَمِيًّا، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، فَالْأَمْرُ يَبْدَأُ بِأَمَلٍ، وَأَمَلُ الْكِبَارِ كِبَارٌ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ الْأَمَلَ يَصِيرُ بِرَامَجٍ وَمَشْرُوعَاتٍ يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ فِي تَنْفِيذِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْمَطْلُوبُ، وَيَكُونَ بِفَضْلِ اللَّهِ الْمَرْغُوبُ.

وَلَنَنْدَبِرَ - عِبَادَ اللَّهِ - كَيْفَ أَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرَصَ عَلَى مُشَارَكَةِ وَلَدِهِ الَّذِي كَانَ صَغِيرَ السِّنِّ فِي الْإِعْمَارِ وَرَفَعَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ؛ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الصِّغَارَ وَالشَّبَابَ يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا مُشَارِكِينَ فِي عِمَارَةِ الْأَوْطَانِ؛ فَإِنَّ الْمُشَارِكَ فِي الْبِنَاءِ وَالْعِمَارَةِ، مَعْنَوِيَّةً كَانَتْ أَوْ مَادِّيَّةً، يَعْرِفُ مِقْدَارَ الْجُهْدِ الَّذِي بُذِلَ، وَالْوَقْتِ الَّذِي صُرِفَ، وَالْمَالِ الَّذِي أُنفِقَ؛ فَتَجِدُهُ حَرِيصًا كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى الْحِفَاطِ عَلَى تِلْكَ الْإِنْجَارَاتِ، وَالرِّعَايَةِ لِتِلْكَ الْمُكْتَسَبَاتِ، وَالزِّيَادَةِ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ عَمَلِيَّةَ الْبِنَاءِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَوَقَّفَ، وَمَنْ تَوَقَّفَ فَاتَهُ الْقِطَارُ، فَكَانَ خَلْفَ النَّاسِ بِمَرَاجِلَ، فَكَانَتْ مُشَارَكَةُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَرْبِيَّةً لِلْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى مُشَارَكَةِ الصِّغَارِ وَالشَّبَابِ فِي بِنَاءِ الْأَوْطَانِ وَعِمَارَتِهَا، جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ، فَكُلُّ جِيلٍ مِنَ الْآبَاءِ يُشْرِكُونَ مَعَهُمْ أَوْلَادَهُمْ، صِغَارَهُمْ وَشَبَابَهُمْ، كُلُّ بِحَسَبِ وَسْعِهِ وَطَاقَتِهِ، وَهَكَذَا يَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَوْلَادُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ مَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ الْوَطَنِ وَقِيَمَةِ مَا بُذِلَ فِيهِ، وَمَنْ عَرَفَ قِيَمَةَ الْوَطَنِ وَمَا بُذِلَ فِيهِ حَافِظٌ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحِفَاطِ.

فَاسْمَعُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - قَوْلَ رَبِّكُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ مُشَارَكَةَ الْوَالِدِ أَبَاهُ فِي عِمَارَةِ وَطَنِهِ: ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(١)، وَقَالَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ ذَاكِرًا الْجُهْدَ الْجَهِيدَ فِي عِمَارَةِ وَطَنَيْهِمَا: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾^(٢)، وَالتَّوْفِيقُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَا حَرِيصَيْنِ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى طَلْبِهِ مِنَ اللَّهِ، فَسَأَلَا اللَّهَ الْقَبُولَ، وَإِذَا كَتَبَ اللَّهُ لَشَيْءٍ الْقَبُولَ جَعَلَهُ مَهْوَى أَفْئِدَةِ النَّاسِ، فَقَالَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٣)، وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعِمَارَةِ وَالْبِنَاءِ، وَفِي ذَلِكَ سُؤَالٌ لِلَّهِ أَنْ يَحْفَظَ النِّعْمَةَ وَيُتِمِّمَهَا، وَأَنْ يَزِيدَ فِيهَا؛ فَدُعَاءُ

(١) سورة البقرة/ ١٢٥.
(٢) سورة البقرة/ ١٢٧.
(٣) سورة البقرة/ ١٢٧.



الإنسان لشيءٍ قائمٍ طلبٍ لحفظه من الزوال ولزيادته ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (١)،
وطريقُ الزيادةِ الشُّكْرُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لِينِ شُكْرِكُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٢).

أقولُ قولي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَاتِّبَاعِهِ الْبُنَاةِ الْمُخْلِصِينَ.
أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَلِنَتَفَكَّرَ كَيْفَ أَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَكُونَ بَلَدُهُ
أَمْنًا؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْأَمَانَ أَضْلُ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَبَابُ السَّعَادَةِ فِي الْحَيَاةِ، وَإِذَا تَحَقَّقَ الْأَمْنُ تَبِعَهُ
التَّعْمِيرُ وَإِقْبَالُ النَّاسِ عَلَى النَّافِعِ وَالثَّرْوَةِ وَالسَّعَةِ فِي الْأَرْزَاقِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُبْنَى مَجْدٌ فِي
غِيَابِ الْأَمْنِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ رَخَاءٌ فِي غِيَابِهِ؛ فَكَانَتْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِلْكَ مِنْ
جَوَامِعِ كَلِمِ النُّبُوَّةِ. وَإِذَا مَا جِئْتَ لِسِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حُبِّهِ لَوْطَنِهِ وَجَدْتَ الْمَثَلَ الَّذِي لَا يَعْلُوهُ
مَثَلٌ، وَالْمَحَبَّةَ الَّتِي لَيْسَتْ فَوْقَهَا مَحَبَّةٌ، وَحَسْبُنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَقِيَ يَذْكُرُ وَطَنَهُ الْأَوَّلَ مَكَّةَ فِي
مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ إِلَى أَنْ لَقِيَ اللَّهَ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ مِنْهُ ذَلِكَ وَهُوَ الْقَائِلُ فِيهَا: ((مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ
وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ))، وَلَمَّا وَصَلَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ مُهَاجِرًا أَخَذَ فِي بِنَاءِ وَطَنِهِ الْجَدِيدِ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ، بَلْ
إِنَّ الْبِنَاءَ بَدَأَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَقَدْ بَدَأَ بِتَهْيِئَةِ الْمَوَارِدِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ
بِهَا ذَلِكَ الْبِنَاءُ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ؛ فَكَانَ عَزْمُهُمْ عَلَى النَّجَاحِ أَشَدَّ صَلَابَةً مِنْ كُلِّ عَزْمٍ،
وَنِيَّتُهُمْ عَلَى التَّقَدُّمِ عَلَى الْأُمَّمِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَخْلَصَ مِنْ كُلِّ نِيَّةٍ، وَتَبِعَ ذَلِكَ الْعَزْمَ عَمَلٌ دُؤُوبٌ لَا
يَتَوَقَّفُ إِلَّا مَعَ آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ؛ فَتَحَقَّقَ لَهُمُ الْمُرَادُ، فَسَبَقُوا مَنْ كَانَ سَابِقًا،
وَاللَّهُ ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

(١) سورة يوسف/ ٦٤.
(٢) سورة إبراهيم/ ٧.
(٣) سورة هود/ ١١٥.



هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُم رَّبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِبُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

